# الفصل الثالث

بعد الغداء كان قد خف توتري، خرجت من الغرفة وطلبت مني والدتي الذهاب الى محل خالي في أحد أسواق المدينة لأحضر لها بعضا المال منه، ار تديت ملابسي وخرجت من المنزل وتعمدت تغيير طريقي كي لا ألتقي بحازم.

هربت بتفكيري من كل مايمكن أن يذكرني بذالك الإحساس وهو يطبق بشفتيه على شفتي وذاك الشعور الذي انتابني، ربما حينها تذكرت حارس المدرسة واقترابه بنفس الطريقة، ارتبطت قبلة الثغر عندي بخوف واشمئزاز، لم أستطع التخلص منها، رغم أني لا أفكر به.



obeikandl.com

قبل ذهابي لخالي مررت بصديقة لي مقربة تحبني وتثق بي، كانت تكلمني عن شاب مغرمة به كثيرا يدرس هندسة إلكترونية ، جلست معها قليلا وهي تحدثني عن حبيبها وأراها بتلك السعادة لمجرد الحديث عنه، هي تتكلم وأنا أقارن حديثها بما حدث لي مع حازم مع أنها لم تكتمل، ولكن كان لي منتهى الحب قبل أن يقترب مني.

و تلك الحالة بين الشوق العارم والنفور غير العادى جعلت مني فتاة تتمرد على ذاتها دون أن تدري، وجدتني أحاول أن أجعل الشك يتسرب داخلها، بحبيبها ولكن عبثا، هي سعيدة بهذا الحب أقنعتها أن علىّ مساعدتها لتعرف إن كان حبه لها صادقا أم أنه يعتبرها مجرد تسلية له، وبعد جهد اقتنعت منى وأعطتني رقم هاتفه وشهقت شهقة المتعب، لما بذلت من مجهود.

لم يكن بذهني شيء محدد نحو حبيبها حينها إلا زرع الشك بقلبها تجاه هذا الشاب.

ذهبت لخالي وكانت أول زيارتي له في العمل. كانت لمى أختى هي من تذهب وتحضر ماتطلبه منها والدتي.

دخلت عليه بمرح واستقبلني بتلك النظرات الحاذقة واستدرت على نفسي بحركة راقصة مثيرة، أتباهى بقامتي الهيفاء وامتشاق ساقي اللتين أسمع المدح الكثير بجمالهما وتناسقهما.

دخلنا المكتب وطلب لي كوبًا من العصير. ملاطفته أكثر من المعتاد وهذا حرك في أعماقي حالة قلق، وزاد توتري حين شدني بقوة ليضمني ويقول:

- كم كبرتي يا حياة تعالي معي نذهب إلى محل ثياب لتختاري ملابس جديدة.

-لست بحاجة لثياب جديدة. قلتها بعصبية وأشحت وجهي عنه.

- أعلم أنك لست بحاجة لثياب أنت دائما جميلة وأنيقة ولكن أحبك أن تكوني دائما الأجمل.

-ماذا تريد أن ترسل لوالدتي يجب أن أذهب لدي واجبات مدرسية.

أعطانى نقودًا وضعتها في حقيبتي واتجهت بخطوات مسرعة نحو الباب، ناداني وأشار إلي بيده كي أعود ما إن سمعت صوته ورأيت إشارة أصبعه تلك رجعت ووقفت أمامه وأنا أنظر إلى الأرض، ابتسم وحل حنانه موضع الغضب فسرحت يده على جيدي ولامس ثغري بسبابته، تنهدت قليلًا..

**وقلت:**

- تأخرت..



obeikandl.com

لم يتحرك من مكانه ولكن نظراته كانت مخيفة بالنسبة لي

-حسنًا تعالي معي لأوصلك حيث تريدين

عدت إلى البيت وأعطيت والدتي النقود ودخلت غرفتي وأنا أتصور حركاته التي أدخلت الريبة إلى قلبي، ويتراءى لي بذات الوقت حارس المدرسة وحازم وقريب والدي ذاك، حتى يصيبني الغثيان ومع ذلك أصابني ذاك الصمت الأخرس، لم أستطع أن أخبر والدتي ولا أختي لمى بما كان من حركات مريبة من خالي.

حين امتلأ رأسي بتلك الصور أسرعت للهرب منها. أخرجت رقم هاتف «محمود»حبيب صديقتي منى، اتصلت به وأخبرته إني حياة صديقة منى ودار بيننا أحاديث مختلفة، كنت مرحة جدًامعه، وصل اهتمامه أنه أصبح ينتظر هاتفي يوميًا وكنت أخبر صديقتي منى بكل ما يدور بيني وبين محمود من حوار، وأشعر بلذة غريبة وأنا أراها تتألم من الغيرة، وأنظر إلى عينيها الواسعتين يملأهما الدمع..

ألم أقل لك ألا تثقِ بأحد.. ولكنها كانت تتجاهل تلك الكلمات لتعلقها الشديد به. تابعت خطتي بالتقرب إليه ونقل كل ما يحدث إليها. أخذت منه موعدا في اليوم ذاته الذي سوف تراه فيه وفعلًا تقابلنا في بيت صديق له اسمه حسان شاب يدرس معه بنفس المعهد، يسكن بالبيت وحده بعد وفاة والديه، وزواج أختيه، وكان ذلك اليوم يصادف عيد ميلاده، دخلنا المنزل رأيت محمود لأول

مرة، شاب أسمر اللون ذو عينين جميلتين، شعره أسود، متوسط القامة، أنيق الهندام، ابتسامته جذابة، وحسان شاب وسيم، أبيض اللون، مرسوم على وجهه ملامح بريئة، توحي بالطيبة، أمضينا يوما لا يخلو من المرح والرقص محمود يراقص منى، وأنا أراقص حسان رغم لطفه معي، ونظراته التي كانت تخترقني إعجابا، إلا أني ألاحق «منى ومحمود» بنظراتي لأسمع حديثهما الذي كان أقرب للهمس. بعد انتهاء الحفلة خرجنا لنعود للمنزل همس لي حسان أتمنى أن تتصلي بي فأنا أشتاق إليك قبل ذهابك.

بعد يومين اتصلت بحسان هاتفيًا، وكان حديثه يتضمن بعضا من تلميح عن مدى إعجابه ورغبته في لقاء بيننا ومن ضمن الحديث أخبرني أن شقيقته عنده في المنزل تقوم بتنظيف البيت. فكرت وبأقل من ثانية ارتديت «بنطالي» الجينز ولبست «كنزة» ضيقة مجزومة على قامتي نفر منها الصدر المراهق، تركت شعري مفرودًا على كتفي.

وكنت قد أخذت دفترًا من دفاتر والدي الموجودة في البيت وخرجت بعد أن أخبرت والدتي أن لدي درس علوم عند صديقتي وأختها الكبيرة سوف تشرح لنا ما لم نفهمه من المدرسة، وخرجت مسرعة قبل أن أسمع ردها، ذهبت إلى منزل حسان وقرعت جرس الباب فتحت الباب سيدة جميلة الوجه بابتسامة لطيفة لا تخلو من الاستغراب، أهلًا بك آنستي هل من خدمة أقدمها لك

- أنا موظفة بالإحصاء وهذا عمل طوعي وهو تابع للإتحاد النسائي.

ومطلوب أن أسجل عدد أفراد، المنزل وكم غرفة موجودة بالمنزل، «ابتسمت وقالت: تفضلي، سمعت صوتا من الداخل يسأل، من وخرج حسان بجسده النحيل، يرتدي بيجامة زرقاء اللون، ونظر إلىّ بدهشة وابتسامة على ثغره، وقبل أن يتفوه بكلمة، قلت للسيدة:

- هل هو من أفراد المنزل؟

-هذا أخي يقيم بالبيت وأنا عنده زيارة.

«طلبت مني أن أجلس في غرفة الضيوف، وأنا بدوري طلبت منها كوبًا من الماء ذهبت السيدة لإحضاره.

هنا أتت فرصة حسان ليسألني هل أنت حقًا موظفة في الإحصاء لماذا لم تخبريني بانتسابك لهذا نشاط؟
- ما رأيك أنت؟!

- أذهلتني المفاجئة ولم أصدق ! لكن فرحتي برؤيتك أهم من أي سبب المهم أنك أمامي أشعر وكأني أحلم. كان يتكلم وأنا أبتسم.



obeikandl.com

عادت أخته قبل أن يفهم مني شيئا، فتحت الدفتر وبدأت أسئلتي

- كم عدد أفراد العائلة، وبمرح ودلال أكملت،

- ربما الهدف من هذا الإحصاء نبيل، أظن أنهم يوزعون لكل مواطن بيتا وتعالت ضحكاتنا.

كتبت عدد أفراد المنزل، واعتذرت لهم بسبب كثير العمل فهناك بيوت محددة يجب أن تنتهي اليوم وخرجت مسرعةً وحسان يتأملني مبتسمًا منبهرًا، لم يعد يهتم إن كنت أكذب أو أني بمهمة للإحصاء. المهم أنه رآني. شعرت بنظراته تلاحقني وهذا كان يجعلني أسير بخفة ورشاقة وكأني لا أمشي على الأرض بل محلقة بما خلفته ورائي من رغبة وحب، وحين عودتي للمنزل تكلمت مع محمود وأخبرته بما فعلت بصديقه «حسان» ضحك كثيرًا كأنه طفل لأول مرة يعرف كيف يعبر عن سعادته، ضحك دون توقف وأنا مستغربة، ماذا قلت لكل هذا الضحك كان مجرد فكرة نفذتها دون تفكير وانتهت.

لم أكن أعلم وقتها أن محمود يملك أفكارًا شيطانية.خلف ضحكاته تلك

وما قد يخطر بباله من أفكار جنونية مؤذية حتى لأقرب أصدقائه.

طلب مني أن نخرج معًا وما كان بوسعي إلا أن أوافق كنت أتوق لسماع أبيات الشعر التي ينظمها غزلًا بي لترضي غروري، تواعدنا في اليوم الثاني بعد انتهاء المدرسة.

«توقفت عن القراءة بتنهيدة عميقة حفرت في وجداني وديانًا..

أشعلت سيجارتي الألف وزفرت دخانها لأمسح ذلك الغموض من مساحة تفكيري.

بل هو جزر بحر يبتلع الزمن الماضي ويسحبه لذلك العمق. حيث كنا..ها أنت

«حياة»

- تعودي أمامي بتلك الجاذبية التي عشقتها إلى حد الهلاك رغم تخاذلي. أذكر تماما ذلك اليوم وينتابني نفس الشعور حين كنتِ أمامي يومها وكنت أتوقع أنك وقعت في حبي وأنك مغرمة بي، وهنا كانت حماقتي أني افترضت ما يمكن أن يكون..

قبضت على نفسي وهيئت خاطري لأعاود شرب روحك في حروف بوحك وأخذت نفسًا عميقًا وبدأت القراءة....

في صباح اليوم الثاني أخبرت والدي إني أريد بعض المال لكي أتصور لتكتمل إجراءات تسجيلي في المدرسة ولم يكن طلبي إلا مجرد وسيلة لأخبرها أني لن أعود من المدرسة فور انصرافي.



obeikandl.com

وبعد انتهاء اليوم خرجت من المدرسة كان يومًا شتويًا ماطرًا، كنت أشعر بحرية بالسير تحت المطر أحب ضربها على جسدي وشعري الذي تسقيه حبات المطر ليزداد جمالًا، كنت أركض بحرية. خفيفة بلا وزن سريعة الخطوات ترافقني حبات المطر نتسابق معا تعطيني فرحة الاغتسال من كل القيود.

رغبة جامحة امتلكت تفكيري أن يقف الزمن وأنا تحت المطر، فالمطر والتراب خليط شراب يمتع ولا يسكر برائحته وعذوبة مائه. ارتبط المطر عندي بالحرية التي عشقتها.

وصلت إلى حيث كان يقف محمود، والمطر يبلل ثيابه، و حبات المطر على شاربه الصغير، أسرع إليّ مهرولًا وأنا أركض نحوه شعور لا أنساه كانت هذه أول مرة أعانق فيها أحدًا بإحساس جديد لم أعتده من قبل، فيه شيء من الخدر الجميل يتسلل إلى جسدي وكأنه سكن بين ضلوعي، أدركت حينها أني أمام رجل حقيقي، عرفت وأنا أعانقه بتلك اللهفة والفرحة تغمرني والمطر يحتضن تلك المشاعر وابتعدنا وتشابكت أيدينا، وابتسامته الخلابة ترقص على ثغره، مشينا طويلًا دون شعور بتعب، تحدثنا، ضحكنا وكأن الشارع ليس فيه أحد غيرنا،

– ما رأيك حبيبتي أن نذهب إلى منزل حسان لنشرب عنده كوبًا من الشاي

- حسنًا لا مانع ولكن على أن أذهب إلى الاستوديو كي أتصور، ذهبنا وتصورت وبعدها أخذنا سيارة وانطلقت بنا إلى بيت حسان، تفاجأ بنا كثيرًا، بل كانت دهشة يلفها ذهول ونظرة حزن لا أنساها، عرفت حينها لما رغب محمود الذهاب إلى حسان كان يعلم بحبه لي وأراد أن يقول له هاهي حبيبتك لي دون كلام أو أنه قد راهن حسان على مجيء معه إلى البيت.

هي ثانية تفصل بين الموت والحياة، لحظة ترى فيها لون الحياة وقد تغير لا أعلم ماذا أصابني؟ جمود حيرة حزن موقف لا أحسد عليه. شعرت بإهانة كبيرة ولم أحدد حينها سببها، دخلنا المنزل ولكن بغير ماكنا عليه منذ دقائق على الأقل بالنسبة لي، وبالغ في محاولته بالإيحاء لحسان أن ما بيننا أكثر مما يتخيل، طلب منه بوقاحة مقززة أن نجلس بغرفة ثانية، بحجة أنه لا يريد أن يكون سببا في تقصير حسان عن دراسته، كانت نظرة حسان مليئة بالحزن الذي لا يخلو من خيبة أمل واشمئزاز، ودخلنا الغرفة الثانية لم تعد نظرة محمود تبهرني حتى ابتسامته فقدت سحرها ، كانت الغرفة بسيطة جدا فيها سرير وخزانة تعج فيها الفوضى. جلس محمود على السرير وشدني من يدي..

- تعالي حبيبتي واجلسي بجانبي، ما بك لما هذا الجمود أين الشوق الذي في عينيك،

- تعالي:

شدني إلى صدره انهمرت على جسدي تلال من الجليد وغمرني الصقيع من رأسي حتى أسفل قدميّ، اقترب أكثر وأنا أحاول الهرب منه.

فقال: بغضب

- أين ذاك الشوق وحرارة ذلك العناق، ماذا حدث لأنفاسك الملتهبة شوقا ورغبة، كيف أنطفأ بركان الرغبة وهمدت فيك العاصفة، ظننتك سترتمين بين ذراعي متهالكة شوقًا، ما الذي حدث؟!!

تراجعت ولاح العرق البارد على جبيني، وتعالت داخلي رعشات غريبة كزوبعة مغبرة، وهو مازال يسأل ما بك؟ما بك؟

لم أكن أسمع مايقول وكأن روحي غادرت المكان وبقي جسدي المضطرب يريد الخلاص، وسافر عقلي في حقبة ثانية من الزمن لايريد العودة وأمام انكساري وبرودي وقف مذهولًا وخرجت بتلك الحالة المنكسرة أركض خارج البيت كهارب من قضائه.

ومحمود تملكته الخيبة وفاضت الحسرة في عينيه وظهر اليأس على شفتيه، كان يمني نفسه بحالة عشقية، تزهو بها روحه، ذهبت للبيت أجر أذيال الخيبة، وحرقة تغطي مشاعر لا أظن أنها ستكرر.

لم تدم ساعة نشوة، تحولت لنقمة وكره وازدراء، ولم أستطع يومها النوم وتلك الخيبة تلازمني ونظرة حسان التي تحولت من



obeikandl.com

حب ولهفة إلى اشمئزاز، كرهت روحي تمنيت أن أختفي كاختفاء حبات المطر تلك ربما الخزي ما شعرت به أو ربما إهانة لم أستطع فى وقتها تحديد ما ألم بي ولماذا وصلت الى تلك الحالة من الاكتئاب.

كل ما أذكره أني كنت فى حالة من الحزن والألم الذي يعصف بكل كياني وأردت الهروب من تلك الصورة التي علقت بذهني، «نظرة النصر»في عيني محمود.

تلك النظرة التي جعلتني أشعر باحتقار لنفسي..

وبينما أنا على هذا الحال رن جرس الهاتف، ركضت مسرعة

لست أدري حينها ما الذي جعلني أركض أريد رفع سماعة الهاتف قبل غيري رغم القهر الذي بداخلي والحزن الذي شتت كياني، ربما تمنيت اعتذارًا من محمود أوربما تمنيت اتصالاً من حسان يخفف عني تلك الإهانة.

رفعت سماعة الهاتف سمعت صوت «محمود».

تسارع نبض قلبي وشعرت برعشة باردة تسري في جسدي، ونفر العرق فجأة إلى جبهتي واختفى صوتي وكأن العلقم في وسط حلقي زرعته تلك الصدمة بتصرف محمود،

تجاوز صمتي وقال:

– اسمعيني جيدا..

تجمدت لثوان مـتسمرة في مكاني، وفقدت القدرة على النطق، وهو يكمل حديثه..

– ما بك هل أخافك صوتي إلى هذه الدرجة،

«تدحرجت الكلمات من فمي لا أدري كيف وأجبته»

– صوتك لا يخيفني، بل يقتلني يحولني إلى حالة أنت الذي أخذتني لها، أضعت فيها حالة كنت أتوق لها وباتت اليوم مصدر تعاسة لي.

لم يعد يسمعني واقتحم صوته حزني وكلماتي أخرسها وقال:

– اسمعي ألا تحبين ما أكتبه لك من هذه القصيدة هي آخر ما أنثره لك وبدأ يقرأ:

مجنونة أنت...شيطانة تدعين البراءة

أتعبثين أم تَراكِ بي تلهين

شقية خلقت وتبقين

أنا لست مثله لو تعلمين

أهبك مشاعري لتلعبين وتسخرين

إن أردت محبتي بدون غباء

تعالي إلي وارتمي في بركان عشقي



obeikandl.com

ربما احتويت جنونك دون عراك و..... واستسلمي

هل تسمعين...

ماكان مني إلا أن أغلقت سماعة الهاتف وعدت لغرفتي، ارتميت على سريري رمية المتهالكة التي أعياها التعب والقهر، وأجهشت بالبكاء وكلماته في أذني لهيب نار تحرق أوصالي ألما وحزنًا ونظرات حسان تلازمني وكأنه الضمير يؤنبني بصمت حارق.

وشعرت بحرارتي ترتفع والعرق يتصبب فوق جبهتي وما شعرت إلا ووالدتي فوق رأسي تبلل قطعة من القماش وتضعها على جبهتي وأنا أرتعد.

كانت تسألني مابك؟ ما لذي حدث يبدو أنك تعرضت للبرد مشيت تحت المطر.. هي تتكلم وأنا أجهش بالبكاء.. وبقيت على تلك الحالة أكثر من يومين ما بين نوم وصحو ودموع لا تجف..

ولكن اهتمام والدتي بي فى تلك الفترة جعلني أتناسى ما حدث وأحاول جاهدة الخروج من تلك القصة الموجعة حد النخاع بتفاصيلها رغم ما تركت من تشوه داخلي، ولكني أردت نسيانها بكل تفاصيلها محاولة العودة لحياتي المعتادة،

تاركةً ورائي كل ما خلفته تلك القصة المؤلمة من تعب نفسي.

عاودت حياتي بملل ونقمة بتلك البرودة أمضي تلك الأيام في تناقض غريب، ومزاج متقلب مليء بالحيرة والأسى.